خطبة صلاة الجمعة 15/ 3/ 2019 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(كيف أتعامل مع أجهزة الاتصال وبرامج التواصل؟)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: 13].

وقال سبحانه: ﴿فَمَا آمَنَ لِمُوسَى إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ﴾ [يونس:٨٣].

قال ابن كثير: هم الشباب.

أخرج الحاكم والبيهقي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك**».

أيها الإخوة:

نحن في الخطبة السابعة والعشرين من سلسلة (هموم الشباب).

عنوان خطبة اليوم: **كيف أتعامل مع أجهزة الاتصال وبرامج التواصل؟**

أيها الإخوة:

برأيكم: إذا استطاعتْ شركةٌ الإفادةَ من شيء من دون أن يستطيع أحد محاسبتها؛ لأنها تملك هذا الشيء بشكل قانوني فهل ستحاول الاستفادة من هذا الشيء أم لا؟!

الشيء هو بياناتك الشخصية التي توافق أنت على مشاركتها مع الشركة المصنعة أو المبرمجة لبرامج التواصل أو أجهزة الاتصال عند بداية استخدامك لمنتجاتها وهو ما يسمى (سياسة الاستخدام).

جميع ما يأتي من معلوماتك الخاصة يمكن استخلاصه بخوارزميات بأجزاء من الثانية:

- **على المستوى الشخصي**: يمكنهم معرفة عمرك، صورتك، بصمتك، أرقامك الهاتفية، أماكن التنقل والسياحة والإقامة والموقع الجغرافي، البريد الالكتروني، عملك، موعد استيقاظك ونومك، مشاكلك الشخصية، تطبيقاتك، دردشاتك في جميع التطبيقات، المواقع الالكترونية التي زرتها، المدة التي تقضيها في كل موقع الكتروني، الإعلانات التي ضغطت عليها، اللغات التي تنطق بها، درجة إتقان كل لغة، جميع البوستات والتغريدات والمنشورات العامة والخاصة التي نشرتها أو تفاعلت معها على جميع منصات التواصل الاجتماعي!.

- **وعلى المستوى الاجتماعي**: يمكن معرفة أفراد عائلتك، أقاربك، أصدقائك، عددهم، أقربهم لك، جيرانك،...

- **وعلى المستوى العلمي والثقافي**: يمكن معرفة شهاداتك، مستوى الذكاء iq))، المدارس والجامعات التي درست بها، مشاريع التخرج، أفكارك العلمية، اهتماماتك العلمية، اهتماماتك الثقافية، مشاركاتك الثقافية، نسبة ثقافتك العامة،...

- **وعلى المستوى النفسي والجسدي**: يمكن معرفة هل أنت عصبي أو هادئ، سمعي أو بصري أو حسي، وهل أنت قوي، رياضي، كسول، هزيل، مريض، الحوادث التي تعرضت لها.

- **وعلى المستوى العاطفي**: أعزب، متزوج، العلاقات الالكترونية المشبوهة اجتماعياً،...

- **وعلى المستوى الاقتصادي**: دخلك، مصادر دخلك، مدخراتك، حوالاتك، مصاريفك، البنوك التي تستعملها، المحال والمواقع الالكترونية التي تشتري منها،...

- **وعلى المستوى السياسي**: الاتجاه السياسي، تاريخك السياسي، تأييدك ومعارضتك السياسية،...

- **وعلى المستوى الديني**: الانتماء الديني، مستوى الانتماء، تاريخك الديني، سبب انتمائك الديني،...

وفي المستقبل إذا امتلكت أي مركز أو عمل مهم حكومي أو اجتماعي أو شخصي قد يتم استخراج حياتك الالكترونية وتحليلها ثم استخدامها لمصلحة معينة... وفي حال لم يكن لك أي منصب مهم فسيستفاد من معلوماتك في التحليل الجماعي لدراسة وتحليل مجتمع كامل لمصلحة معينة.

وأهم ما يدل على السياسة المثيرة للريبة لهذه الشركات هو منتجاتها المجانية مع العلم أنها تكلفها مئات الملايين، علماً أن أغلب هذه الشركات لا تستخدم الإعلانات، وبعضها أصبح يقوم بنشر

الإعلانات في منتجاته لكن هذه الإعلانات لا تغطي إلا جزءاً من نفقاتها وهذا يعني بأن لديها دخلاً من عمل غير معلن مثل بيع البيانات الشخصية والجماعية.

وبعد هذا، أقترح عليك ستة أمور للتعامل الصحيح مع أجهزة الاتصال وبرامج التواصل:

1- كن حريصاً على خصوصياتك:

أعني: صورك الخاصة ومناسباتك العائلية وبرامجك اليومية والمالية والحياتية وحالاتك النفسية وطرق التواصل الخاصة بك، فلا تعلن عنها ولا تنشر منها إلا ما أنت مضطر لنشره والإعلان عنه، وما كان آمناً.

2- امتلك هذه المنتجات ولا تدعها تمتلكك:

كسائر الأدوات والمواد والأشياء المتوقَّع أن تخضع هذه المنتجات لسيطرةِ الإنسان العاقل؛ ولكنْ إنْ لم يحسنِ المرءُ استخدامَها فأصبح خاضعاً لها أو مدمناً عليها، يأتمرُ بأمرها وينتهي بنهيها، قادته كما تقاد العجماوات، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾ [لقمان: 20]، فكل ما في السماوات والأرض مسخَّرٌ لك، فكنْ أنت سيدَه، ولا تجعلْ لك سيداً إلا الله، ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: 29]، فكل ما في الأرض مخلوقٌ لك وأنت مخلوقٌ لله، كل ما في الأرض لخدمتك، وأنت لخدمة مولاك.

تقول أخت: يبلغ أخي من العمر ثلاثاً وعشرين سنة، لقد أدمن الألعاب الالكترونية، انعزل عن أسرتنا فلم يعد يُكلّم أحداً منا، ساهراً طول الليل وحده، ضَعُفَ تواصله مع المجتمع، وابتعد عن الطاعات كثيراً، ولم تعد له أي صلة مع الله!.

تقول زوجة: إنَّ زوجي طيلةَ وجوده في المنزل ينصرف لحاسبه الخاص متابعاً شبكات التواصل مع أصدقائه الالكترونيين تاركاً زوجتَه وأولاده وراء ظهره!.

وذَكَرَ زوجٌ أنَّ زوجتَهُ تنسلُّ من سريرها ليلاً لتفتح الواتس آب وتتابع مجموعاتها مع صديقاتها، ومراراً ما تركتْ أعمالَها المنزلية؛ لانشغالها بمجموعاتها الافتراضية!.

لقد باتَ الدارسون اليوم يتحدثون عن (الطلاق النفسي أو العاطفي) وعن (أرامل وسائل الاتصال) وعن (الجرائم الالكترونية) وعن (إدمان وسائل الاتصال وبرامج التواصل).

فمن أراد تعاملاً صحيحاً مع وسائل الاتصال وبرامج التواصل فليمتلك هذه المنتجات ولا يدعها تمتلكه.

3- خذ ما صفا ودع ما كدر:

فلهذه المنتجات من المنافع ما لا يُنكَر، وفيها من المضار ما يُذكَر وما لا يُذكَر، فخد خيرها واجتنب شرورها وآثامها.

فمن فوائدها: تسهيلُ الحصولِ على المعلومات، وإطلاعُنا على آخر الأبحاث والمؤتمرات والمستجدات في العلوم والأعمال والأحداث، وتيسيرُ التواصلِ مع المسافرين من الأهل والأصدقاء، ومساعدةُ دعاةِ الخير في نشر الدعوة، وإطلاعُ الإنسانِ على جغرافية الأرض وعظمةِ الله تعالى في خلقه، وتوفيرُ الوقتِ والمالِ والجهدِ بتيسير بعض الإجراءات في المعاملات الرسمية والعلاقات التجارية، وغيرُ ذلك.

ولهذه المنتجات عينها -إن لم يحسِنِ المرءُ استخدامَها- أضرارٌ صحيَّة ونفسيةٌ واجتماعية وأسرية واقتصادية، وأضرارٌ فكرية معرفية وعقدية إيمانية وأخلاقية وسلوكية.

فأضرارُ الإجهاد البصري وإصابات العمود الفقري بسبب الجلوس الطويل أمام هذه الوسائل مع قلة الحركة، ومخاطرُ إشعاعات الهواتف المحمولة باتتْ معلومةً للجميع، وهي من جملة الأضرار الصحية.

وحبُّ الانطواء والوحدة والانعزال للخلوة مع هذه الوسائل، والتوتر والقلق المستمران الناجمان عن التفكير الدائم بهذه الوسائل حتى حين البعد عنها، والتأثير السلبي لمشاهد العنف والرذيلة، كلها أضرارٌ نفسيةٌ باتتْ تدفع المصابين بها إلى عيادات الطب النفسي والعلاج السلوكي.

وقلْ مثلَ هذا في المضار الاقتصادية: إذ تصرفُ بعضُ هذه الوسائل عدداً من الشباب عن أعمالهم، وربما أسهرت آخرين فناموا عن واجباتهم، هذا بالإضافة إلى ما يُصاب به مدمنُها من حمى الاستهلاك لشراء كل جديدٍ من الأجهزة، والاشتراك في كل تطبيق من التطبيقات، وبذل المال الوفير لدفع الفواتير الشهرية المترتبة عليه.

هذه المضار وغيرُها موجودةٌ في هذه الوسائل إن لم يُحسِنِ المرءُ استخدامَها، فمن أراد الإفادة فليأخذ ما صفا وليدع ما كدر.

4- حددْ لنفسك وقتاً معيناً للتعامل مع هذه المنتجات:

وكن حازماً في ذا الأمر، وتذكر أن الأصل في التواصل والعمل والبناء هو العالم الحقيقي، وأن الفرع هو العامل الافتراضي الالكتروني، ومهما استطعت أن تؤخر تقديم هذه المنتجات لأبنائك ومن تشرف على تربيتهم فافعل.

5- راقبِ اللهَ تعالى في أثناء تعاملك مع هذه المنتجات:

وتذكرْ قولَه: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: 18]، ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: 10 - 12]، ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: 14].

إن هذه المراقبة تمنع المرء من أن يستخدم هذه المنتجات في تتبُّعِ العوراتِ، أونَشْرِ الشائعاتِ، أو الدعوة للمضلات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ لاَ تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**»، إن هذه المراقبة تكسو المرءَ جلبابَ الحياء؛ فلا يكتب قبيحاً، ولا ينشر فاضحاً، ولا يستمع لمنكر من القول وزوراً.

أخرج الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الحياءُ من الإيمانُ في الجَنَّةِ، والبذَاءُ مِنَ الجفَاءِ، والجَفَاءُ في النَّارِ**» البذاء: الفحش.

إن هذه المراقبة تمنع المرء أن ينسب حديثاً للنبي صلى الله عليه وسلم ليس متأكداً من صحته، وتمنعه من أن ينشر حكماً فقهياً إذا لم يكن من أهله، وتحجبه أن يرسل معلومة لم يتأكد من صحتها، أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه؛ أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «**كَفَى بالمَرْءِ كَذِباً أنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ ما سَمِعَ**»، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: 36].

6- الزم ذوقيات استخدام هذه المنتجات:

كأن تغلق هاتفك المحمول إذا دخلتَ المسجد، أو مدرجات الجامعة، أو جلست مع إنسانٍ تحدثُه، أو حلَّت هدأةُ الليل، وعلى أقل تقديرٍ اجعلْهُ صامتاً، وإذا أردتَ إنشاء مَجموعة فلا تضف اسمًا إلاَّ بعد استئذان صاحبه، واختر الوقت المقبول اجتماعياً للاتصال والتواصل مع الآخرين.

وبعد أيها الشباب:

هذه ستة للتعامل الصحيح مع أجهزة الاتصال وبرامج التواصل:

1- كن حريصاً على خصوصياتك.

2- امتلك هذه المنتجات ولا تدعها تمتلكك.

3- خذ ما صفا ودع ما كدر.

4- حددْ لنفسك وقتاً معيناً للتعامل مع هذه المنتجات.

5- راقبِ اللهَ تعالى في أثناء تعاملك مع هذه المنتجات.

6- الزم ذوقيات استخدام هذه المنتجات.

اللَّهُمَّ اجعَلْنَا لَكَ شَاكِرِينَ، لَكَ ذَاكِرِينَ، لَكَ رَاهِبِينَ، لَكَ مِطوَاعِينَ، اللهم تقَبَّلْ توَبتنا، وَأَجِبْ دَعَوَتِنَا، وَاهدِ قُلُوبَنَا، وَسَدِّدْ أَلسِنتَنَا وَاسلُلْ سَخَائِمَ قُلُوبِنَا.

والحمد لله رب العالمين